عالم محمود تيمور القصصي "قراءة في الرؤية والأداة"

Mahmoud Timur Narrative World of Vision and Tool

سعاد قمومية*
s.guemoumia@univ-chlef.dz
الأستاذ أحمد عراب
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/10/15 تاريخ القبول:2020/05/17 تاريخ النشر: 2020/09/14

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ"عالم محمود تيمور القصصي الرؤية والأداة" إلى إبراز لمسة تيمور في إرساء قواعد أو أسس بناء نص قصّصي فني حديث وفق رؤى فنية مستعارة، وبذلك ارتبط فن القصّة بالدرجة الأولى بمحاولات محمود تيمور، لكونها ذات صلة وثيقة بالحياة وارتباطا بالتطور السيكولوجي والنفسي بطبيعة الشخصية العربية.

وعلى هذا يصاغ الإشكال التالي: إلى أي حد استطاع تيمور استلهام قواعد البناء القصصي من موباسان؟ وما هي أهم الإشارات والملامح التي يمكن رصدها على مستوى صنعة القصّة العربية؟

فتسعى هذه الورقة البحثية إلى فتح مجال للنقاش في قضية التأثر والتأثير الحاصل بين الفنون العالمية واستخلاص أهم الآليات التي يتجلى من خلالها التلاقح في الأداة والرؤية الفنية ما بين تيمور وموباسان من خلال نموذجين قصصيين هما مهزلة الموت والشيطان.

الكلمات المفتاحية:

محمود تيمور؛ الرؤية؛ الأداة؛ جي دي موباسان؛ القصّة العربية؛ القصّة الغربية.

Abstract:

This study, entitled "Mahmoud Timur Narrative World of Vision and Tool", To accentuate the touch Timur touch in establishing the rules or foundations of the construction of a modern artistic narrative text based on borrowed artistic visions, thus linking the art of the story primarily to the attempts of Mahmoud Timur, as it is closely related to life and related to development. Psychological and psychological in the nature of the Arab personality.

As such, the following problem is formulated: to what extent has Timor been able to draw inspiration from the anecdotal construction rules of Maupassant? What are the most important signs and features that can be observed at the level of the workof the Arab story?

This paper seeks to open up a debate on the issue of influence and influence among the world's arts and to draw out the most important mechanisms through which the inference in the instrument and artistic vision between Timur and Maupassant is reflected in two anecdotal models, the farce of death and evil.

Keywords:
Mahmoud Timur ;Vision;Tool; Jd Maupassant ; Arab Story; Western Story.

مقدمة:

محمود تيمور والإرهاص القصّصي:

حياته ونشأته:

* المؤلف المرسل

محمود تيمور "أصغر أنجال العلامة اللغوي المشهور أحمد باشا تيمور، عضو مجلس الشيوخ وصاحب الخزانة التيمورية المشهورة"[1]، "ولد محمود تيمور في السادس من شهر يونيو، بدرب سعادة بالقاهرة 1894 "[2]، و"يقع هذا الحي بين الموسكى وباب الخلق، وهو حي أصيل في شعبيته، حافل بالصناع والتجار وأرباب الحرف من كل صنف"[3]، حيث "تلقى محمود تيمور تعليمه الابتدائي والثانوي ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا، لكنّه لم يتم دراسته بها لمرضه"[4]، ففي "سنة 1914 أصيب بمرض التيفوئيد"[5]، "وبعد أن نجا من مرض التيفوئيد الذي كان شديد الوطأة على صحته، وجد نفسه غير قادر على الدراسة في المدارس النظامية ومعاناة تلقي الدروس الفنية الصعبة فتركها غير آسف عليها"[6].

ولما كان ميل محمود منذ الصغر متجها نحو "الدراسة الأدبية" فقد وجد الفرصّة ساذجة بعد تركه نهائيا الدراسة في المدارس العليا لينقطع للأدب فيتفرغ له[7]. ومن أكبر العوامل التي ولدت في نفسه الاتجاه نحو الدراسة الأدبية، وأنمت فيه تلك السجية بعد ذلك أمران[8]:

1- "بيئة المنزل فقد ولد في حجر رجل علم وأدب فتأثر بأفكار والده وآرائه واحتذى سنته وتطبع بطبعه، ووالده معروف بشغفه العظيم بجمع الكتب القديمة والحديثة ومواصلة المطالعة والدروس والتأليف في اللغة والتاريخ العربيين".
2- تأثره بـ"شقيقه محمد تيمور –فقيد الأدب والمسرح- فقد صاحبه المترجم عنه وتأثر بأفكاره وآرائه الحديثة، وأصغى لإرشاداته في المطالعة والتأليف، وقد كان الشقيق مشبعا بها بعد عودته من أوروبا حيث تلقى الأداب والحقوق".

"فتزوج محمود تيمور عام 1920 زينب ابنة ذو الفقار باشا، وأنجبت له نازلي وحورية وابنه الوحيد سعيد. وفي الرابع والعشرين من شهر فبراير 1921 مات شقيقه محمد وهو في ميعة الشباب. وشعر محمود تيمور بانهيار أمله الكبير في إنشاء أدب مصري جديد، وكان محمود متأثرا جدا بأخيه محمد. أما في عام 1922 أصدر محمود كتاب شقيقه المرحوم محمد تيمور "وميض الروح"، وكتب مقدمة عن سيرة شقيقه، وتحليلا لبعض أعماله الأدبية"[9].

نبوغه الفني:

و"عام 1925 طبع محمود تيمور كتاب "الشيخ جمعة وقصص أخرى" ثم توالت المجموعات، حيث صدم عام 1943 صدمة عنيفة بوفاة ابنه سعيد، وفي الخامس من أبريل 1947 أقيم تكريم لإهدائه جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تتويجا لإنتاجه القصصي باللغة العربية الفصحى. حيث اختاره مجمع اللغة العربية عام 1949 عضوا فيه واستقبله الدكتور طه حسين"[10].

وفي عام "1950 فاز بجائزة الدولة للآداب عن كتابيه: "إحسان لله" و"كل عام وأنتم بخير". أما في الثامن والعشرين من أبريل 1951 أقيم إحتفال في الجامعة لتسليمه جائزة "الملك فؤاد الأول" في الأدب، وفي نفس العام قررت هيئة التحكيم في جمعية (فرنسا- مصر) بباريس منحه جائزة "واصف غالي" لعام 1951 على كتابه الذي ترجم إلى الفرنسية: "عزرائيل القرية وقصص أخرى" وهي مجموعة من القصص نشرت بالفرنسية في باريس. أما عام 1962 منحته الدولة وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى تكريما لأدبه، وتقديرا

لفنه. وفي 1963 كرمته الدولة ومنحته جائزتها التقديرية في الأداب. ففي الخامس والعشرين من أغسطس 1973 لفظ محمود تيمور أنفاسه وهو في سويسرا"[11].

"نشأ محمود تيمور في بيت يضم العلماء والأدباء والمثقفين فيقول: "كانت دارنا مهبطا لكثير من علماء العصر وفضلائه، أذكر منهم الشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطي الكبير وهما ممن تلقى والدي العلم عنهم. وكان أخوه محمد يكتب للمسرح كما كتب القصّة والشعر الوجداني والخواطر الأدبية. أما والده أحمد تيمور، فقد كان يعمل ويؤلف في ميدان اللغة والتاريخ والأدب القديم، وكانت عمته عائشة التيمورية شاعرة"[12].

نهجه في الكتابة:

"اقتفى محمود تيمور أثر أخيه محمد في الأدب الجديد والفن القصصي، فهو يدأب اليوم لإيجاد أدب مصري قومي بحث يعبر عن نفسية القوم بأخلاقهم وعاداتهم، وبكلمة يعبر عن (البيئة المصرية)، ويتجافى المترجم عنه التصنع والتكلف، ويرغب في السهولة في تعبيره لتكون أثاره في متناول كل شخص فيستطيع أن يفهمها. وهو يجيد في التحليل فترى حوادث أقاصيصه متسلسلة الواحدة تلوى الأخرى بأسلوب يرضاه المنطق ويجذب انتباه القارئ قسرا، لا سيما لما فيها من دقة الملاحظة وتشخيص أمراض المجتمع المصري"[13].

عالم محمود تيمور القصصي:

عالم حافل بالتجريب القصصي وارتياد عوالم قصّصية بعيدة عن تلك الممارسات التراثية المتوارثة عن كتابات كتّاب المقامة، والخرافة، والقصّة.

عالم تيمور هو عالم يتطلّع إلى الوصول بالقصّة إلى مصف العالمية نظرا لما تتمتع به من مؤهلات تجمع بين التراثي والحداثي العربي والغربي.

تيمور حلقة رصينة في عالم تشكيل الفن القصّصي وجرأة على كسر المعتاد والمألوف من تلك الضيغ والأساليب في الكتابة القصصية.

مؤلفاته:

يتميز إنتاج محمود تيمور بالغزارة والتنوع، فقد شمل القصّة والمسرحية والقصّة القصيرة والبحوث الأدبية والدراسات اللغوية ومن أهم مؤلفاته[14]:

"ثلاث مجموعات ضمنها ما ألف من الأقاصيص الأولى "الشيخ جمعة وأقاصيص أخرى" والثانية "عم متولي وأقاصيص أخرى" والثالثة "الشيخ سيد العبيط وأقاصيص أخرى". وقد قدم المجموعة الثالثة بمقدمة في كتاب قائم برأسه في تاريخ البلاغة القصصية وتطورها في الغرب والشرق. ونشر آثار شقيقه في ثلاث مجلدات أثبت في المجلد الأول منها بحثا تحليليا مع ترجمة وافية يصح أن يكون كتابا مستقلا".

وعليه أوّل ما يمكن ملاحظته على أعمال تيمور القصصية القصيرة، هو "أنّها قصّص تطرح قضايا ومشكلات اجتماعية، تناولت عالم القرية بهمومه وأحزانه. حيث تناول محمود هذه القضايا الاجتماعية وغيرها من خلال تقديمه للشخصيات النمطية التي تكون مثالا أكثر من كونها تمثلا للواقع، وربما كان هذا نتيجة استيعاب للأدب الكلاسيكي الذي يعطي أهمية لا بأس بها للشخصيات النمطية"[15].

ومن الضروري البحث في التشكيل القصصي عند محمود تيمور في النص البحث وبذلك نختار "مهزلة الموت"لأن القصّة فيها ترسيخ قصصي في أساليب عدّة في تيمور من التجديد.

وهذا ما أدى ببعض النقاد والدارسين لإجراء دراسات عديدة حول محمود تيمور وإنتاجه الأدبي مع التلميح إلى تأثره بموباسان، وإبراز جانب من علاقة التأثير والتأثر بينهما والتي ترجمت في أعمال تيمور القصصية.

ملخص الأقصوصتين:

مهزلة الموت قصّة كتبها محمود تيمور في قضية الجشع شكّل عوالمها انطلاقا من خطاطة ارتكز فيها على العناصر القصّصية التالية:

مصطفى حسن أحد خدم القصر شديد التقعير على نفسه، كان مملوكا للمرحوم الباشا رب القصر حيث اشتراه وهو في الثامنة من عمره، وقام بتعليمه وتدريبه على أعمال الدائرة الزراعية ولكنّه بيّن أنّه ليس أهلا للثقة فاضطر الباشا أن يجرده من وظائفه السامية، وكلفه بحراسة باب القصر القديم.

قام مصطفى حسن بحراسة باب القصر حتى أصيب بذات الرئة وكان أمله في الشفاء ضئيلا وعندما انتشر خبر المريض على أنّه يسلم الروح فتقاطر خدم القصر من كل مكان إلى اقتسام تركة مصطفى حسن قبل أن يسلم الروح، لكن عند موته انقضوا انقضاضا على تركته فحميت معركة حامية بين الخدم حيث أن كل واحد منهم يسعى إلى أخذ أقصى ما يستطيع من التركة.

فأصدر الأغا أمره في الحال بنقل الخزانة إلى الخارج فتقدم الرفاق يتقاسمون جوانبها في نقلها، لكنّها أفلتت من أيديهم وسقطت على الأرض متحطمة، فرأى البعض أن يغتنم الفرصة ويأخذ معها شيئا خلسة فلمجه الآخرون، فحميت معركة النهب فاختلط الخدم بعضهم ببعض يقتتلون ويتنافسون على ما يوجد في الخزانة ويتخاطفون على ما فيها فتشابكت الأيدي وارتفعت الأصوات تحمل كل ألفاظ الشتائم والسباب والضرب[16].

أمّا القصّة الشيطان كتبها جي دي موباسان"Guy de maupassant" على العناصر التالية:

كانت المرأة العجوز في سن الثانية وتسعين من عمرها مسجاة على الفراش وهي تعالج سكرات الموت كانت هادئة ساكنة مستسلمة للواقع الملموس رغم ثقتها بأنّها سوف تموت وكان لها ابن وحيد يدعى أونور لكنّه لم يهتم بأمه وكان اهتمامه الوفير بحصاد الحنطة رغم مرض أمه.

لكن طبيب القرية هدده على أنّه إذا لم يهتم بأمه أو يدعي لها المرأة لا ربيب للاعتناء بها سوف يتركه يموت كالكلب إذا ما افترسه المرض فاستجاب أونور لطلب الطبيب باستدعاء الأم لا ربيب للعناية بأمه، وذهب يطلب الأم لا ربيب التي كانت تشتغل بكي الملابس وتنظيفها لكنّها لم توافق على الاعتناء بها قبل رؤيتها فوافق أونور وذهبا معا إلى البيت لرؤية العجوز وعندما قامت بفحصها غادرت الغرفة وقالت لأونور إنّها لا يمكن أن تستمر على قيد الحياة حتى المساء.

حيث أنّ العجوز لم تمت واستمرت بذلك الحال إلى أن فقدت لا ربيب صبرها وأحست بانقضاض يسود نفسها وحقد هائل على أونور الذي خدعها بأمه التي لا تريد أن تموت، فكادت أن تفقد شعورها على الزمن الذي يمر منها ومن حقها أن تتقاضى عليه أجر.

فراودتها فكرة على إلقاء قصص خرافية مخيفة على مسامعها عن الشيطان وعددت لها عن أسماء اللذين قد ظهر لهم قبل موتهم فبدت مضطربة حائرة لا يستقر رأسها على الوسادة في مكان واحد.

فاختفت لا ربيب وراء الستار وألقت فوق رأسها ملاءة بيضاء فحجبتها من أقدم رأسها إلى أخمص القدم ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مدببة وأمسكت بيدها مكنسة بسيطة وفجأة رفعت الستار وبدت بهيئتها أمام المريضة، حيث مرت لحظة فزغ ورعب على المرأة المسكينة أدت إلى إنهاء حياتها[17].

لقد تطرقنا في هذه النظرية التي تعتبر القاعدة الأساسية والمهمة لهذه الدراسة، حيث تناولنا فيه قصّة مهزلة الموت وهي قصّة شائعة ومشهورة في أنحاء العالم، وقصّة غي دي موباسان وقد حاولنا رصد أهم العلائق بين الأقصوصتين:

1/المضمون:

نلاحظ أن رغم نقاط التشابه الكثيرة بين الأقصوصتين إلا أنّ اللوحة التي عرضها تيمور في هذه القصّة تختلف اختلافا بينا التي عرضها موباسان لعدّة أسباب ، حيث أنّ هناك أسس أو قواعد تميز مجتمع محمود تيمور ومجتمع ج يدي موباسانGuy de maupassant.

فالموضوع له دور كبير في جذب القارئ وإثارة اهتمامه، لذا يجب أن يكون الموضوع قائما على التركيز والإيجاز، والملاحظ أن تيمور في قصته مهزلة الموتيرغب في نقل فكرة ما حيث نجد أنه استقى موضوعها وأفكارها وحتى البعض من أحداثها من قصّة الشيطان.

ويمكن القول بالرغم الاختلافات على مستوى الموضوع غير أن الدلالة واحدة والتصوير واحد، وبذلك فلابد للقصّة القصيرة أن ترتكز على فكرة واضحة تنتهي لغاية ومضمون معين، حيث أن المضمون في كلا الأقصوصتين يتمثل في تبليغ انطباع أو انفعال فكرة واحدة التي يظهر فيها بقوة أكبر لإيجاد أثر نهائي، والانطباع هنا يشمل على الجشع والطمع.

2/الأحداث:

إن القصّة هي عبارة عن مجموعة من الوقائع المتتابعة والمترابطة تسرد في شكل متسلسل ومتناسب، وهي أهم عنصر في القصّة القصيرة، ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات، حيث تحدث الكاتب في قصّة مهزلة الموت عن تنوع طرق بناء الحدث في القصّة على النحو التالي:

استهل الكاتب في بداية قصته على أوّل حدث والذي صور لنا مدى بخل مصطفى حسن بطل قصّة مهزلة الموت على نفسه، حتى أنّه لا يأبه كثيرا برونق الحجرة التي يعيش فيها ونظافة محتوياتها بقوله: "وكانت حجرة قذرة ذات كوة ضيقة... أثاثها قديم مهشم يمتاز بذلك السرير الجريد، ذي الفرش القذر الممزق وتلك الخزانة التي لا يدل ظاهرها الوضيع على ما تحويه من تحف غالية" وقوله: "كان مصطفى حسن شديد التقتير على نفسه، استطاع أن يدخر في سني حياته مائتي جنية ذهبا كان يحرص عليها حرصه على حياته"[18].

فيعقبه الحدث الثاني في لحظته المؤثرة الدرامية مع فحص الطبيب حالة مصطفى حسن المرضية وقرر أنّه سوف يفارق الحياة خلال ساعتين على الأكثر بقوله: "إنّه لن يعيش أكثر من ساعتين"[19].

أما الحدث الآخر فيتولى الكاتب وصف طريقة موت مصطفى حسن وكيف كان الأطفال يتابعون بفضول شديد لحظة وفاته من خلال نافذة الحجرة حيث يقول: "وقصد الأطفال نافذة الحجرة وتكاثروا عليها ليروا كيف يموت مصطفى حسن، فقال أحدهم وقد احتل مكانا طيبا أمام النافذة وبدأ يدافع عنه بشدة يا لطيف إن بطنه قد انتفخت حتى كادت تلاصق السقف، وقال آخر عيناه تقدحان شررا، وفمّه ينفث دما. النار. الدم. النار"[20].

ويستعرض في حدث آخر جشع خدم القصر على خزانة مصطفى حسن، وكيف يكسرونها ويسلبون ما فيها من أجل اقتسام تركته من خلال طمعهم وجشعهم الذين لم يحترموا حتى هيبة موته وجلاله حيث قال: "فأصدر الأغا أمره بنقل الخزانة إلى الخارج، فتقدم الرجال وجعلوا يجاهدون في سبيل نقلها، واستطاعوا بعد مشقة أن يحملوها إلى الباب، ولكنّها أفلتت من أيديهم متحطمة، ورأى بعضهم أن يغتنم الفرصّة فينال منها شيئا خلسة، ورآه الآخرون فمدوا أيديهم جهارا نحوها يرفعون ألواحها المتكسرة ويخطفون منها ما يستطيعون خطفه"[21].

ويختم الحدث بجنازة مصطفى حسن وكيف أخذ خدم القصر كل منهم بعض من ارثه ولم يسيروا في جنازته حيث قال: "وفي الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم، خرجت جنازة المملوك الكهل مصطفى حسن يتقدمها جماعة من المشايخ العميان يرتلون بصوت أجش لا إله إلا الله"[22].

وهذا ما تجسده قصّة "الشيطان" "لغي دي موباسان" في الكثير من الأحداث والمشاهد القصّصية في النصّ ذاته.

استهل في الحدث الأول عن حالة العجوز المرضية وكيف كانت تعالج سكرات الموت حيث قال: "وقف الرجل الفلاح أمام الطبيب وإلى جانب فراش المرأة المحتضرة التي كانت عجوزا متهدمة محطمة، ولكنّها هادئة مستسلمة للقاء حتفها"[23].

فيتولى في الحدث الثاني عن غضب الطبيب من أونور وكيف هدده بأن يهتم بأمه أو يأتي لها بامرأة للاعتناء بها فقال له أنّه إذ لم يهتم بأمه سوف يتركه يموت كالكلب لأنّه الطبيب الوحيد في القرية فيقول: "كيف تبلغ بك القسوة هذا المبلغ؟ إذا كان لابد لك من جمع قمحك واليوم فامض لذلك، ولكن استحضر المرأة لاربيب للعناية بوالدتك...أسامع أنت؟ وتالله لئن لم تفعل ذلك لأتركنك تموت وحدك كالكلب الضائع إذا جاء دورك"[24].

ويعقب في الحدث الآخر عن ذهاب أونور إلى الأم لاربيب وتكلم معها عن أمه وطلب منها بالاعتناء بها لأنّها في ساعاتها الأخيرة حيث قال: "من حسن حظك أنّ الطبيب هدد أنّ الوفاة قد تحصل من دقيقة لأخرى، وفي هذه الحالة تكونين أنت الرابحة وأنا الخاسر"[25].

واستعرض في الحدث الذي يليه عن غضب الأم لاربيب من أونور الذي كان يقول لها أنها لن تعيش حتى الضحى، فقال: "فثارت غريزة الجشع فيها ضد هذه الفكرة، فكرهت الفلاح أونور من أعماق قلبها لأنّه خدعها وغبنها"[26].

ويختم الحدث بكيف كانت لاربيب تخيف مدام بونتام بإلقاء عليها قصص خرافية عن الشيطان مما أدى بحياتها فقال: "وانبرت لاربيب تقصّ عليها أخوف القصص وأروع الأحاديث عن الشيطان الرجيم، لتستطير لب العجوز المسكينة وتنخب فؤادها... وهنا طار عقل المرأة المحتضرة وجن جنونها فبذلت مجهودا هائلا للنهوض من فراشها والهرب. ولكن ذلك المجهود كان فوق ما تطيق وتتحمل، فسقطت على الوسادة جثة هامدة وقد لفظت آخر أنفاسها"[27].

3/الرسم الفني لشخصيات الأقصوصتين:

يمكن التعرف على الشخصية من خلال السلوكات والأقوال الواردة في القصّة حيث تعد عنصرا أساسيا فيها، ومنه فإن أي عمل قصّصي لابد أن يوجد فيه شخوص لأن نجاح القصّة يعتمد على شخوصها فيصدر بينهم صراع وتتكاثر الأحداث وتتطور وبذلك هناك نوعين من الشخصية في القصّة أولا الشخصية الرئيسية، وثانيا الشخصية الثانوية أو المساعدة.

ففي قصّة مهزلة الموت تعد شخصيّة مصطفى حسن هي الشخصيّة الرئيسية، بحيث أنّ معظم الأحداث تدور عليها حيث مرت بعدّة مراحل:

المرحلة الأولى: بخل مصطفى حسن وعيشه في غرفة قذرة

المرحلة الثانية: مرض مصطفى حسن

المرحلة الثالثة: موت مصطفى حسن

المرحلة الرابعة: سعي الخدم إلى إقتسام تركته.

المرحلة الخامسة: جنازته

أما الشخصيات الثانوية فبالرغم من أنّ الشخصية الرئيسية هي المهمة في القصّة إلا أنّ هناك شخصيات أخرى أيضا لها دور مهم في البناء القصّصي ألا وهي الشخصيات الثانوية. ومن بين الشخصيات الثانوية في قصّة مهزلة الموت نجد:

البشير الأغا: هو أحد من خدم القصر

الطبيب: هو طبيب القرية

الهانم: وهي ربّة القصر التي اعتنت به بعد موت زوجها

عم مدبولي: شيخ مسن عليه مظاهر الصلاح وهو حلقة وصل بين مصطفى حسن والبشير أغا

أما الشخصيات عند جي دي موباسان في قصّة الشيطان نجد:

الشخصيّة الرئيسية وهي مدام بونتام وهي والدة أنوريه التي تصارع الموت وقد تنتهي حياتها في أي دقيقة

أما الشخصيات الثانوية هناك،

أونوربونتام: وهو ابن مدام بونتمبس الذي كان يهتم بزرع الحنطة أكثر من اهتمامه بأمه

الطبيب: وهو الطبيب الوحيد في القرية

لاربيب: وهي امرأة عجوز تشتغل بكي الملابس وتنظيفها وتعمل أيضا كممرضة لقاء أجر معلوم

القس: هو قس القرية الذي يتلقى إعتراف البشر الذين يكونوا في مرحلة تسليم الروح

ومن خلال هذا نلاحظ أن كل من تيمور وموباسان اشتركا في شخصية كل من الطبيب والمريض الذي يحتضر وفي كلا الشخصيات أعمى الجشع بصيرتهما فعند محمود تيمور نجد البشير أغا والعم مدبولي، أما عند موباسان فنجد كل من أونوريه والأم رابت حيث أن في كلا الأقصوصتين هناك قلة في الشخصيات.

4/ فضاء الأقصوصتين:

عندما نتحدث عن المكان يتبادر لنا كلمة زمان لأنّهما مكملان لبعضهما في شخصيات القصّة وأحدثها. فالمكان يعد وحدة أساسية في القصّة حيث تعددت تسمياته لدى الدارسين والنقاد أهمها الفضاء الحيز، فإنّه يحتل مساحة معينة في وضع الأشياء، لأن القصّة تحتاج إلى مكان تقع فيه الأحداث لكي تتطور، حيث يوجد نوعين من الأمكنة هناك أمكنة مغلقة منها الاختيارية كالبيت والغرفة وهناك الإجبارية كالسجن أما النوع الثاني وهي أمكنة مفتوحة كالشارع، الحي، المدينة، الحديقة، المقهى. ففي قصّة مهزلة الموت هناك أمكنة مغلقة وأمكنة مفتوحة

فالمغلقة نذكر:

البيت: هو مكان يقيم فيه وهو في صورة كآبة كقوله: "فقد عاش مصطفى حسن في بيت قذر"[28].

السرير:قوله"يمتاز بذلك السرير الجريد"[29].

المنزل:قوله"على أثر صعوده سلالم المنزل الكثيرة"[30].

السجادة: قوله "وجدها جالسة على السجادة"[31].

الحجرة: قوله "قصد مولاته في حجرتها الخاصّة في الطابق الأعلى"[32].

السقف:قوله"أنّ بطنه قد انتفخت حتى كادت تلاصق السقف"[33].

القبر: هو مكان يذهب إليه الإنسان بعد موته سواء كان كبيرا أم صغيرا، فقيرا أم غنيا وهو مكان شديد الإنغلاق وضيق المساحة حيث يقول: "وسمع الجميع صوتا ضعيفا يشق طريقه بجهد من باب الحجرة كأنّه صوت خارج من القبر"[34].

الوسادة: قوله "مدّ يديه تحت الوسادة"[35].

مفتاح: قوله "يبحث عن مقتاح الخزانة"[36].

جلباب: قوله "لأخرج لك جلبابا من الصوف"[37].

الخزانة: وهي مكان يضع فيه الشخص أغراضه ففي حيث تظهر في قصّة مهزلة الموت قوله:"فأصدر الأغا أمره في الحال بنقل الخزانة"[38].

الكيس: قوله "ومدّ يده إلى مكان الكيس"[39].

أما من الأمكنة المفتوحة نذكر:

الشارع: هو أحد الفضاءات وهو مكان مفتوح يتميز بالاتساع حيث ينفتح على العالم الخارجي مما يسمح بتنقل الشخصيات بحرية تامة حيث يقول: "وهرولوا إلى الشارع حيث أخذ كل منهم يروي للمارين قصّة الموت الرهيبة كما أوحتها لهم مخيلتهم"[40].

السوق: مكان يشتري منه الناس الملابس والأحذية حين قال: "لم أنل إلا الحذاء الضخم.. كان المرحوم اشتراه بعشرة قروش من سوق العصر"[41].

أما الأمكنة المغلقة في قصّة الشيطان لجي دي موباسان نجد:

الفراش: هو مكان نوم مدام بونتام فقال: "وقف الرجل الفلاح أمام الطبيب وإلى جانب فراش المرأة المحتضرة"[42].

النافذة والباب: وهما مكانان فب الحجرة فيقول: "من خلال النافذة والباب المفتوح كانت أشعة شمس يوليو تتدفق وتنهمر"[43].

البيت: قوله: "ولما اقتربا من البيت قال الفلاح في نفسه"[44].

اللحاف: هو فراش ينام عليه الناس جميعا كقوله: "يداها المعروقتان الشبيهتان بمخلبي سبعة منشورتان فوق اللحاف"[45].

الوسادة:قوله"فسقطت على الوسادة"[46].

الخزانة: هو شيء يضع فيه الشخص حاجياته وفي القصّة يظهر لنا كمكان تخبأ في الأشياء القديمة التي لها مكانة في نفسية الشخصية ومثال ذلك قوله: " فذهبت إلى حجرة أونور فطفقت تفتش في خزانة ثيابه"[47].

المطبخ: قوله: "ثم ذهبت إلى المطبخ"[48].

ومن الأمكنة المفتوحة نذكر:

الحقل: وهو مكان يحصد فيه القمح حيث قال: "وأثناء مروره بالحقول والمزارع جعل الفلاحون يخرون سجدا إلى الأذقان"[49].

5/ الزمان

يعتبر الزمان عنصرا مهما في تحريك عناصر القصّة حيث تختلف دلالاته والحقول الدلالية التي يتبناها ففي قصّة مهزلة الموت وظف الكاتب الحذف حيث قال: "إنّه لن يعيش أكثر من ساعتين"[50]. الحذف غير محدد لأنّه لا يعرف الوقت بالضبط.

ويقول أيضا: "هو الآن يلفظ نفسه الأخيرة"[51]. هنا الحذف محدد، وقوله: "سيموت مصطفى حسن الساعة 12... أي على مدفع الظهر بالضبط"[52]. استباق الأحداث.

وقوله: "سيموت مصطفى حسن بعد ساعة"[53]. استباق الأحداث.

وقوله: "فأخرج الأغا ساعته فوجدها الحادية عشر"[54].

وقوله: "بقيت ساعة تماما على دنو منيتك يا مصطفى حسن"[55]. وقوله: "لقد دنت الساعة إن مصطفى حسن يا جماعة يسلم الروح"[56]. هنا الحذف محدد.

وقوله: "وفي الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم خرجت جنازة المملوك الكهل مصطفى حسن"[57].

أما الحذف في قصّة الشيطان لجدي دي موباسان نذكر:

قوله "لابد أن تكون المرأة هنا في ظرف ساعة"[58]. هنا حدد الوقت بظرف ساعة بالضبط.

قول أونور "وأنها رغم ما زعم الطبيب ربما استغرقت حالة النزع معها أسبوعا كاملا "[59]. الحذف غير محدد

"ومن حسن حظك أنّ الطبيب هدد أنّ الوفاة قد تحصل من دقيقة لأخرى "[60].

وقالت لاربيب: "لن تكون الوفاة في تلك الليلة على أية حال، سيستغرق الأمر يومين"[61].استباق الأحداث لأنه أكد أنّ الوفاة لم تكن في تلك الليلة بل ستكون بعد يومين.

وقوله :إنّها لن تستمر أكثر من ست ساعات"[62].

وقوله "فأطلق سراح المرأة لاربيب وأمرها أن تبكر الغداة من الساعة الخامسة"[63]. هنا حدد الوقت بالضبط على الساعة الخامسة.

وقوله "لقد ولى النهار وأقبل الغسق تتسلل من خلال النوافذ ظلاله"[64]. الحذف محدد

قول لاربيب "ربما بقيت يومين بل أربعة، بل ربما استمرت أسبوعا"[65]. الحذف غير محدد حيث أنّه يتردد على عدم معرفة اليوم بالضبط.

وقوله"ولكن في اليوم التالي حضرتها فكرة بديعة"[66].

استعمال النقاط المتتالية دلالة على الحذف وعلى أن الزمن لم يعد له أهمية وأصبح غير محسوس به، زمن نفسي فيه تحسم حياة الشخصيتين فهو زمن غير مدرك كرونولوجيا.

6/التشكيل الفني في الأقصوصتين:

نلاحظ فيما يخص الشكل أن كلا الأقصوصتين تفتقر إلى التمهيد حيث أن الأحداث تنطلق فيها مباشرة، فالموضوع واحد مستوحى من الواقع رغم اختلاف البيئتين فقد عالج كل من محمود تيمور وغي دي موباسان ظاهرة الجشع وغريزة الطمع الماكثة في نفوس الناس كما نلمح في القصتين طابع السخرية الذي امتاز به كل من تيمور وموباسان.

حيث ان الفن القصصي عند كل من محمود تيمور وموباسان يؤدي الى التميز وإبراز الاختلافات بينهما فمحمود تيمور لديه أكثر من مئة أقصوصة تكتسي طابعا شفويا وأقصوصة مهزلة الموت ليست من القصص التي اتخذت الطابع الشفوي. أما موباسان لديه مئة وستون أقصوصة تتخذ الشكل ذاته وأقصوصة الشيطان لم تتخذ هذا الشكل مثلها مثل أقصوصة تيمور.

7/ فنية الحوار:

هو ظاهرة إنسانية رافقت الانسان منذ ظهوره على وجه الأرض، وهو ضروري في حياة الانسان حيث لا يستطيع العيش منعزلا عن الآخرين، فهو يشكل شكلا من أشكال التواصل بين الناس وهو حوار يدور بين شخصين أو عدّة أشخاص، وبذلك يعد من أهم الوسائل الأساسية للتخاطب حيث يشترط فيه وحدة الموضوع والهدف الذي يقوم لأجله وعليه يصل الأفكار إلى الأخريين وتبادلها من خلال الإقناع.

وهناك نوعين من الحوار حوار داخلي يشكل القصّة أهم مكوناتها السردية لأنّه يمثل أصوات الشخصيات بما فيها السارد، فهو حوار يدور بين الشخصيّة ونفسها حيث يتكون من طرف واحد، وينقسم إلى قسمين غير منطوق وهو حوار يتعلق بشخصيّة ذاتها من الداخل أما القسم الثاني هو المنطوق أي المونولوج الخارجي الحوار الخارجي حوار بين شخصين أو أكثر وينقسم إلى قسمين المباشر وهو كلام مباشر إلى المتلقي، والغير المباشر وهو مرتبط بالزمن.

إنّ محمود تيمور نلاحظه وظف السببية في قصّة مهزلة الموت من خلال الحوار الذي دار بين البشير الأغا ومولاته:

فلما أحست بدخوله زهت نظرتها الذهبية والتفتت إليه مستفسرة وقالت:

ماذا قال الطبيب يا بشير أغا؟

فسكت هذا الأخير ولم يجب فكررت السؤال، فمسح الأغا عينيه متكلفا الحزن الشديد فصرخت السيدة قائلة

هل مات مصطفى أحسن؟

فأسرع بالاجابة قائلا:

لم يمت بعد يا سيدتي ولكنه مع الأسف يسلم الروح

فانحدرت دمعتان على خدي السيدة، ثم تمتمت بصوت فيه رنة الاستسلام

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وتكلمت شيخة القرآن بصوتها الأجش قائلة:

الفاتحة على روحك يا مصطفى حسن

وأخذ الثلاثة يقرأون الفاتحة، وأخرج بشير أغا ساعته فوجدها العاشرة، فناجى نفسه قائلا:

سيموت مصطفى حسن الساعة 12 أي على مدفع الظهر بالضبط[67].

فهذا الحوار تظهر فيه السببية بصراحة التي تأثر بها محمود تيمور حيث أن البشير أغا في طمعه وكذبه كلها راجعة إلى أسباب البيئة التي تعيش فيها الأحداث مباشرة

كما نرى أنّ موباسان كان هو أيضا يؤمن بالسببية حين نجده في قصته الشيطان في الحوار الذي دار بين الطبيب وأونوريه

قال الطبيب:

اسمع يا أونور ينبغي لك ألا تترك أمك وحدها على هذه الحال فإنها عرضة للوفاة، وقد تموت في أية لحظة

فأجابه أنوريه بعناد وإصرار

ولكن لابد لي من تفقد أحوال زراعتي، إني أترك أمي المتحضرة وحدها... على أنى علم الله قد أهملته طويلا وحسبي ذلك وكفى

ثم التفت إلى أمه وسألها قائلا:

ما رأيك يا أماه؟

وكانت الأم كسائر أهل جنسها من فلاحات "نورماندي" شديد البخل والجشع فأومأت إلى ابنها بما يفيد أن استمر في حصاد القمح ودعني أمت وحدي

ولكن الطبيب استشاط غضبا وقال

كيف تبلغ بك القسوة هذا المبلغ؟ إذا كان لابد لك من جمع قمحك اليوم فامض لذلك، ولكن استحضر المرأة لاربيب للعناية بوالدتك.

أسامع أنت؟ وتالله لئن لم تفعل ذلك لأتركنك تموت وحدك كالكلب الضائع إذا جاء دورك[68].

ومن هنا نلاحظ أن السببية التي تمثلها موباسان تبدوا واضحة في هذا الحوار من خلال غضب وتهديد الطبيب لأونور بقدوم دوره ليموت هو الآخر، والسببية هنا متمثلة في عناد الفلاح وقسوته في إهماله لأمه يؤدي حتما إلى نتيجة واحدة وهي موتها.

وبذلك ففي كلا الأقصوصتين وظف فيهم السببية والابتعاد عن المفاجأة في التنسيق بين الأحداث.

وعليه فرغم إختلاف البيئتين فإن الموضوع واحد مستوحى من الواقع حيث أنّ كل من محمود تيمور وجي دي موباسان عالجوا ظاهرة الجشع وغريزة الطمع الماكثة في نفوس الناس، كما نلمح أيضا أنّ كلا الأقصوصتين فيهما طابع السخرية الذي امتاز به كل من موباسان وتيمور

ومن خلال هذا فإن علاقة تأثير موباسان في تيمور أدى إلى إبداعات العديدة أثرت في الساحة الأدبية، وكانت سببا في اهتمام النقاد والدارسين في مجال الأدب المقارن.

أشكال تأثر محمود تيمور بغي دي موباسان

إن إثبات تأثير ثقافة معينة في الكاتب، أو تأثير كاتب في كاتب آخر أي تتبع التأثير والتأثر بين الكاتبين، ولهذا فقد تأثر محمود تيمور ب"Guy de maupassant" الفرنسي حيث قال في ذلك نزية حكيم عن العوامل التي أثرت في أدب محمود تيمور: "أمّا العامل الثاني تلمذته لكتّاب القصّة الواقعية من الغربيين، فتيمور تلميذ موباسان وزولا وتشيخوف، على درجات متفاوتة"[69].

أما شوقي ضيف فيتحدث عن مطالعات محمود تيمور في الأدب الغربي الواقعي وخاصة في أدب موباسان القصاص الفرنسي الواقعي وإعجابه به إعجابا شديدً[70].

ومن خلال هذا عبر محمود تيمور عن إعجابه بفن موباسان واعترف بتأثره به في مجموعته القصصية الأولى (الشيخ جمعة) وبذلك تحدث عن انتشار الأقصوصة في البلدان الغربية حيث قال: "ولقد برع الروسيون وأخص منهم (تشيخوف) والفرنسيون وأخص منهم (موباسان) في هذا النوع من البلاغة حتى سميا بحق (ملوك الأقاصيص) في العصر الحاضر"[71].

كما صرح محمود تيمور أيضا بتأثره بموباسان حيث قال: "وامتدح لي شقيقي غير مرة موباسان الكاتب الأقصوصي الفرنسي، فبدأت أطالعه، وما كدت أقرأ له حتى فتنت به، وتابعت قراءاتي إياه في شغف عظيم. واتسعت مطالعاتي فيما بعد في القصص الأوروبي وتشعبت، ولكني حتى اليوم مازلت محتفظا لموباسان بالمكان الأول في نفسي، فهو عندي زعيم الأقصوصة الأكبر"[72].

خاتمة البحث

في الختام نلاحظ أنّ أعمال الكاتبين لم تقم بمقارنة حقيقية وإنّما كانت تلميحات متفرقة على علاقة التأثير والتأثر، وهذا ما جعلنا نقوم بدراسة مقارنة في هذا المجال لتوضيح معالم تأثيرGuy de maupassant في محمود تيمور، ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ✓ تأثير محمود تيمور ب"Guy de maupassant" جزء من ظاهرة عامة وتعبير عن حاجة كان يستشعرها المجتمع المصري دفعت إلى استقدام أساليب ومدارس أجنبية.

- ✓ أنّ محمود تيمور في قصّته مهزلة الموت قد وظف عناصر القصّة في بناء عالمه القصّصي على نمط "Guy de maupassant" إلى حد التشابه الكبير بينهما.
- ✓ إنّ الكاتب في قصّته لم يكثر من توظيف الشخصيات نظرًا لطبيعة القصّة لأن القصّة بطبيعتها قصيرة فعدد صفحاتها في مهزلة الموت لم تتجاوز أربعة عشر صفحة وهذا ما نلاحظه عند" Guy de maupassant" أيضا.
- ✓ اعتمد الكاتب على الحوار الخارجي أكثر من الحوار الداخلي في قصّته مهزلة الموت على عادة " Guy de maupassant" في الشيطان .
- ✓ يتبين أنّ محمود تيمور لم يتركز تأثره ب "Guy de maupassant" في لحظة بعينها، كما ذهب الى ذلك بعض الدارسين، بل كان تأثرًا واسعًا وعميقاً في حياته الأدبية.
- ✓ لم يكن تأثر محمود تيمور بالقصاص الفرنسي "Guy de maupassant" مجرد إقباس وتقليد سلبي، بل كان على العكس استلهامًا أصيلًا وخلاقًا لجوانب عديدة من أدب "Guy de maupassant"
- ✓ تأثّر تيمور بالقصاص الفرنسي "Guy de maupassant" ترافق مع قراءات أخرى وتأثّر بأدباء آخرين ولاّسيما القصاص الروسي" تشيخوف".

الهوامش:

[1]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، دار الوائل للنشر، ط1، 2009م، ص13

[2]فتحي الأبياري، محمود تيمور رائد الأقصوصة العربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1420هـ-2000م، ص91.

[3]السعيد الورقي، اتجاهات القصّة القصيرة، في الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص113.

[4]محمد زغلول سلام، دراسات في القصّة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها أعلامها، منشأ المعارف، الإسكندرية، ص192.

[5]فتحي الأبياري، محمود تيمور رائد الأقصوصة العربية، المرجع السابق، ص91.

[6]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، المرجع السابق، ص13.

[7]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، المرجع السابق، ص13.

[8]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، المرجع السابق، ص13-14.

[9] فتحي الأبياري، محمود تيمور رائد الأقصوصة العربية، المرجع السابق، ص91 -92.

[10] فتحي الأبياري، محمود تيمور رائد الأقصوصة العربية، المرجع السابق، ص92.

[11]فتحي الأبياري، محمود تيمور رائد الأقصوصة العربية، المرجع السابق، ص92- 93.

[12]السعيد الورقي، اتجاهات القصّة القصيرة، في الأدب العربي المعاصر في مصر، المرجع السابق، ص115.

[13]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، المرجع السابق، ص14.

[14]كريم الوائلي، مصادر نقد القصّة القصيرة في العراق، المرجع السابق، ص17.

[15]السعيد الورقي، اتجاهات القصّة القصيرة، في الأدب العربي المعاصر في مصر، المرجع السابق، ص161

16محمود تيمور، مهزلة الموت، من مجموعة الوثبة الأولى، دار النشر الحديث، 1937، ص79-94.

17جي دي موباسان، الشيطان، مئة قصّة فرنسية، تر: محمد السباعي، مكتبة مصر، العاجلة، دت، ص68 -74

18مهزلة الموت، ص80.

19مهزلة الموت، ص80

20مهزلة الموت، ص84.

21مهزلة الموت، ص90-91

22مهزلة الموت، ص93.

23الشيطان، ص68.

24الشيطان، ص68-69.

25الشيطان، ص70.

26الشيطان، ص73.

27الشيطان، ص74.

28مهزلة الموت، ص80.

29مهزلة الموت، ص80.

30مهزلة الموت، ص82.

31مهزلة الموت، ص82.

32مهزلة الموت، ص82.

33مهزلة الموت، ص84.

34مهزلة الموت، ص88.

35مهزلة الموت، ص89.

36مهزلة الموت، ص89.

37مهزلة الموت، ص89.

38مهزلة الموت، ص90.

39مهزلة الموت، ص91.

40مهزلة الموت، ص85.

41مهزلة الموت، ص94.

42الشيطان، ص68.

43الشيطان، ص68.

44الشيطان، ص70.

45الشيطان، ص71.

46الشيطان، ص74.

47الشيطان، ص74.

48الشيطان، ص74.

49الشيطان، ص72

50مهزلة الموت، ص80.

51مهزلة الموت، ص81.

52مهزلة الموت، ص83.

53مهزلة الموت، ص85.

54مهزلة الموت، ص85.

55مهزلة الموت، ص85.

56مهزلة الموت، ص88.

57مهزلة الموت، ص93.

58الشيطان، ص69.

59الشيطان، ص70.

60الشيطان، ص70.

61الشيطان، ص71.

62الشيطان، ص71.

63الشيطان، ص72.

64الشيطان، ص72.

65الشيطان، ص73.

66الشيطان، ص73.

67مهزلة الموت، ص82- 83.

68الشيطان، ص 68- 69.

69نزية حكيم، محمد تيمور رائد القصّة العربية، مطبعة النيل، القاهرة، 1944، ص48.

70ينظر: شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، دت، ص300.

71محمود تيمور، الشيخ جمعة، المقدمة، المطبعة السلفية، القاهرة، 1925، ص5.

72أحمد هيكل، الفن القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب الثورة 1919 إلى قيام الحرب العالمية الكبرى الثانية، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1983، ص35.